مقياس السيميولوجيا العامة

ماستر1 سمعي بصري

الأستاذ زياد اسماعيل

المحاضرة الرابعة

سيميولوجيا التواصل:

كان ميلاد سيميولوجيا التواصل مع" أريك بويسنس" الذي نشر سنة1943م " اللغات والخطابات محاولة في اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا"، ثم أعاد النظر في الكتاب ونشر من جديد كتاب تحت عنوان" التواصل والتعبير اللساني"، المطبوعات الجامعية ببروكسل سنة1967م[1]

وبهذا سيكون" أريك" من أوائل المناصرين اللسانيين من أمثال" بارييطو"،" جورج مونان"،و"جان مارتني"، في تحديدهم سيميولوجيا التواصل وفي وضعهم لمبادئها وأسسها، حيث يمكن أن تعرف باعتبارها دراسة طرق التواصل أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخّى التأثير عليه، ففعل التواصل هو الفعل الذي عن طريقه يقوم شخص ما مدركا لواقعة قابلة للملاحظة ومرتبطة بحالة وعي بتحقيق هذه الواقعة لكي يفهم شخص آخر الهدف من هذا السلوك ويعيد في وعيه تشكيل ما حصل في وعي الشخص الأوّل[2]

كما أنّ التواصل لا يقتصر فقط على توصيل الرسائل اللفظية الصريحة أو القصدية، فهو كما نتصوّره يشمل مجموع العمليات التي يتبادل بها المتخاطبين التأثير، لأنّ القارئ قد يتعرّف بهذا على أنّ هذا التحديد يقوم على مسلمة كون كلّ فعل وكلّ حدث يوفران مظاهر تواصلية بمجرّد ما يتمّ إدراكهما من قبل كائن إنساني.

ولهذا نفهم ملاحظات العالم الأنثروبولوجي الأمريكي" ديل هايمس" حينما ذهب إلى أنّ الأنثروبولوجيا ينبغي لها أن تراعي التحديدات المحلية للتواصل، ففي المجتمعات الحديثة يشير التواصل إلى تبادل المعلومات بين شخصين أو نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال، وهذا ما لا نجده في المجتمعات أو الثقافات القديمة، ففي ثقافة" هنود أجيبوا" مثلا يسلم الناس بأنّ الآلهة تخاطبهم بواسطة البرق وأنّ الأحجار هي علامات وضعتها الآلهة مرتبة في الخلاء لمساعدة الرجال والاهتداء بها لقطع الفيافي، كما أنّ كهول قبائل" الزّوني" التي تسمع الذّئاب تعوي خلال الليل المخيّم يزعمون أنّهم يستطيعون أن يعيدوا ترجمة حواراتهم للأطفال.

---

[1] مرسليدليلةوآخرون،**مدخلإلىالسيميولوجيا (نص- صورة)**،بط،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر1995،ص15.

[2] صبطيعبيدة،بخوشنجيب:**مدخلإلىالسيميولوجيا**،بط،الدارالخلدونيةللنشروالتوزيع،الجزائر2009،ص25.

كما تهدف سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي، كما أنّ التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي(اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني(علامات المرور مثلا)، ولهذا يعتبر كلّ من"برييطو" و"مونان" و" بويسنس" الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا، وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية، كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا[3]

سيميولوجيا التواصل هي الاتجاه الذي يقوم على دعامتين هامتين هما، محور التواصل وما يجري فيه، ومحور العلامة أنواعها ومكوناتها ومقصديتها.

أ ـ محور التواصل اللساني: "يرتبط التصور العام للعلامة اللسانية في الفكر السوسيري بدارة الكلام، إذ يمكن لهذه الدارة أن تقودنا إلى مكونات العلامة وقوانينها، وبذلك تبدو السيميائيات بشكل عام أحوج إلى تطوير هذه الدارة وتحويلها إلى أنموذج عام أساسه التواصل، تتحدد العلامة اللسانية داخل دارة الكلام بوصفها كيانا نفسيا مجردا يتألف من تلاحم الصورة الأكوستيكية (الدال) مع التصور (المدلول) تلاحم يترجمه مبدأ التداعي في أثناء كل عملية تواصلية "[(4)]، فالتواصل عند دو سوسير هو عملية فيزيولوجية نفسية تحيل إلى الصوت المادي للصورة السمعية التي هي شيء فيزيائي صرف، وما تمثله هذه الصورة السمعية من قيمةتأويلية تختصر ما أسماه دو سوسير الدفع النفسي للصوت أو الصورة المفهومية.

إن عرض دو سوسير البسيط والمعمق في الوقت نفسه لطبيعة العلامة اللسانية جعله يشير إلى أن هذه الأخيرة كيان ذو وجهين يرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا يدعو الواحد منهما الأخر في أُن، لأن فكرة الجزء الحسي من الشيء تفترض فكرة الكل، لكن دو سوسير يفضل أن يبدل شقي التصور والصورة السمعية كدلالة على العلامة اللسانية بمصطلحي الدال والمدلول وهما المصطلحان الشائعان حاليا، ويقصد بهما العلامة اللسانية نفسها التي هي عبارة عن مجموع ما ينتج من ترابطهما.

يعطي الباحث بلوم فيلد صورة مبسطة للعملية التواصلية ضمن التصور الآلي الذي يستند إلى المرجعية السلوكية،حيث تنبني هذه الأخيرة "على مقومات ثلاثة تتضح من خلال قصة جاك وجيل التي تختصر عملية الكلام في:

ـ الوضعية التي تسبق الكلام: وهي تتعلق مباشرة بالمتكلم (جاك)، الذي يحركه في اتجاه عقد عملية التواصل حافز ما،هو حافز الإحساس بالجوع، الناتج عن تقلصات في عضلات المعدة، وهو محرك بدوره من قبل رؤية التفاحة.

---

[3]ساعدساعدوصبطيعبيدة:**الصورةالصحفية- دراسةسيميولوجية- ،** المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بط،2012،ص64.

[4]- عبد القادر فهيم شيباني: **السيميانيات العامة أسسها ومفاهيمها**، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص 28.

- **الكلام**: ويتمثل في طلب (جيل) من (جاك) أن يقطف لها التفاحة، وهذا نوع من الاستجابة البديلة، عن استجابة أخرى، كان يمكن أن تحدث، وهي أن تباشر(جيل) بنفسها قطف التفاحة، بدلا من الكلام .

- **الوضعية التي تلي الكلام**: وتتمثل في ردة فعل (جاك)، الذي تلقى الإشارة القصدية"[5].

إن التصور السلوكي لا يعمل سوى على تغييب مركزية العلامة بوصفها إنتاجا تواصليا، إذ أنه يحدد التواصل بين الوضعين السابق واللاحق عن إنتاج العلامة (مثير- استجابة)، ويلغي قيمة العلاقة التمثلية ليحولها إلى مجرد فراغ، بظهور أعمال كل من شانون وويفر تحددت الملامح الأنموذجية للاتصـــال عامةعبر تحديد تلك الأدوات التقنية التي تحرك سيرورة المعلومة ضمن مجال السيبرنيطقيا،إذ يحتاج كل بث إعلامي حسبهما إلى وجود مصدر للمعلومة (ولتكن الإذاعة المسموعة مثلا)، حيث تقتضي عملية البث تدخل المرسل (المذيع) الذي يسعى إلى تسنين الرسالة بحسب طبيعة القناة (مكبر الصوت)، فتغدو ملائمة للاستقبال (سلسلة من الإشارات الفيزيائية تنتقل في شكل موجات ارتدادية)، وبهذا تصل إلى الناقل المستقبل (المذياع) فيفك تسنينها ليجعلها قابلة للتلقي من قبل المرسل إليه (المستمع).

يفترض التواصل الإنساني في مقابل الاتصالالآلي حسب أمبرتو ايكو ضرورة إدراك الحضور غير النمطي للإنسان ضمن وضعه كمرسل ومرسل إليه، حيث المجال الرحب لتعددية الأسنن بين المتواصلين، وحيث تغدو السنن نفسه محلا للنقاش بين المرسل والمرسل إليه، بذلك تتحول الشبكة التواصلية إلى سيرورة دلالية، تحول الإشارة إلى شكل دال يلزم المرسل إليه بتعبئتها بمدلول، وذلك انطلاقا من السنن القاعدي الذي يحتكم إليه، سنن يتضمن بدوره أسنن أخرى فرعية ذات وظيفة إيحائية في الغالب فالظرف كفيل بتحديد اختيار السنن المناسب بوصفه سياقا للتواصل السيميائي[6].

ب. محور التواصلغير اللساني: وهو الذي يشمل مختلف التمظهرات الرمزية غير اللغوية، والتي تدخل ضمندائرة اهتمامها التصنيفات المتباينة التالية:

- **تصنيف جورج مونان:** القائم على تقسيم الأنساق التواصلية (غير اللفظية) انطلاقا من قربها إلى النسق اللساني، وصولا إلى الإبداعات الفنية التي تتضمن قدرا ضئيلا من المقاصد التواصلية وتتضمن هذه الفئة:

* الأنساق التي تنوب على اللغة مثل أبجدية الصم والبكم وكتابةبراي والإشارات البحرية أو التلغرافية.

* الأنساق القائمة بذاتها مثل الأرقام والرموز الرياضية والتشوير الطرقي.

---

[5]- فايزة يخلف: **مرجع سبق ذكره**، ص36/ 37.

[6]- عبد القادر فهيم شيباني:**مرجع سبق ذكره**، ص ص 30/29.

* الأنساق الخرائطية ومنها الخرائط الجيولوجية وخرائط الأرصاد الجوية وغيرها من الأشكال التوضيحية التي تندرج ضمن السيمياء التمثيلية.
* الأنساق الفنية: أي الصور والتمثيلات الإبداعية الفنية، باعتبار وظيفتها التواصلية مهما كانت مضمرة.

وقد اقترحت جان مارتيني بدورها تصنيفا لأنماط العلامات يقوم على التمييز بين ما هو طبيعي، وما هو مصطنع من قبل الإنسان، فالعلامات الطبيعية تتمثل في القرائن، حيث يكون الدال ظاهرا والمدلول خفيا على الحواس، فالدخان مثلا يعتبر قرينة مادامت النار غير مرئية وتنقسم القرينة بدورها إلى ثلاثة أنواع:

- التوقعات والتنبؤات مثل الليلة المقمرة التي تنبئ بتحسن الطقس.
- الأعراض مثل الحمى أو احمرار الوجهالذي يشير إلى وجود مرض.
- البصمات والآثار مثل أثار الأقدام على الطريق.

وقد استنبطت مارتيني من خلال هذه الأنماط الثلاثة علاقات زمنية قد تتبادلها القرينة مع ما تدل عليه، فقد تكون متزامنة معه (في حال الأعراض) وقد تعيقه بمدة زمنية قصيرة أو طويلة (كما هو الشأن بالنسبة للبصمات أو الآثار)،كما لاحظت مارتيني أيضا أن القرنية قد تستعمل من طرف الإنسان فتأخذ طابعا اصطناعيا إلى طابعها الأصلي فقد يوقد الإنسان نارا للإعلان عن موقعه، وهنا يكون الدخان قرينة طبيعية في الدرجة الأولى وعلامة اصطناعية في الدرجة الثانية، وبالإضافة إلى اقتراحات جورج مونان وجان مارتيني ، هناك اجتهادات أخرى ضمن الاتجاه التواصلي، ركزت في معظمها على تصنيف أنساق العلاماتالتي ينبغي أنتشكل موضوع الدراسة[7].

---

[7]- فايزة يخلف: **مرجع سبق ذكره**، ص ص 40/39.